

ديسبراكسيا

اليوم يمكنني النظر للخلف، للبدايات، لأرى بوضوح علامات الديسبراكسيا. في البداية، دعوني أعرفكم بالديسبراكسيا. هي صعوبات يواجهها الطفل في الحركة والتوافق. كل ما يتطلب أن يرسل المخ إشارات للعضلات أن تتحرك، به نوع من العطب. مثلها مثل أي مشكلة بالجهاز العصبي، الديسبراكسيا درجات، وكل واحد ونصيبه. أغلب الأوقات، لا تأتي الديسبراكسيا وحدها، أحياناً تصحبها الديسلكسيا والديسجرافيا وغيرها من الصعوبات.

بعد محنة الولادة وفترة «آدم» في الحضانة، أخذته إلى البيت بعد خمسة أيام من ميلاده. في أول زيارة لطبيب الأطفال، اليوم السادس أو السابع، رآه الطبيب وسأل عن سبب عدم حركته. الطفل في هذه المرحلة يحرك يديه وساقيه في الهواء بصورة لا إرادية. طلب مني أن أخفف من ملابسه وأن أحمله وطلب أن يراه بعد عدة أيام. عندما رآه للمرة الثانية، بدا عليه السرور وطمأنني. بعدها اخترت طيبة أطفال أخرى بجوار منزلي حتى أتجنب القيادة لفترة طويلة بالرضيع. كشفت عليه وأكدت أن كل شيء على ما يرام.

في هذه الفترة، كنت أقرأ تطور نمو الطفل بالشهور في كتاب د. سيرز. لاحظت أن هناك

فجوة. كل ما كان مكتوبًا عن الطفل بعمر شهر، رأيتُه في «آدم» بعد شهرين. كل ما كان مكتوبًا بعمر شهرين رأيتُه بعمر ثلاثة أشهر. ثم بدأت الفجوة في الاتساع، كل ما كان مكتوبًا بعمر أربعة أشهر حدث بعد ستة أشهر وما كان مكتوبًا بعمر ستة أشهر حدث بعمر ثمانية أو تسعة أشهر. هكذا تأخر «آدم» في إمساك لعبة بيده وفي ترك لعبة من يده وفي الانقلاب من جنب إلى جنب وفي الجلوس مستقلًا. كلما سألت الطيبية، أو أمًا أكثر خبرة، كان الرد أن كل طفل ينمو بإيقاعه الخاص وفي وقته وأنه لا داعي للقلق.

تأخر «آدم» في الضحك بصوت عالٍ، وحتى بعد أن تعلم القهقهة، حتى يومنا هذا، يصاب بالزغطة بمجرد أن يضحك وكأن الحجاب الحاجز يختل كلما ضحك. كان يناغي ويصدر أصواتًا ولكن من الواضح أنها كانت أقل من الطفل «الطبيعي»، لدرجة أن أخي علق في مرة أنه لا يسمع صوت «آدم» إلا وهو وحده معي. لم ألاحظ أنني لم أر لسان «آدم» خارج فمه أبدًا، الأطفال بعمر ستة أشهر يخرجون لسانهم في محاولة لتقليد الكبار. تأخر «آدم» كذلك في الحبو والوقوف والمشي وباقي مهارات الحركة. ثم أصبح تأخر الكلام واضحًا ومن بعدها مشاكل الاتزان ومن بعدها صعوبات الإمساك بالقلم للعب أو التلوين ومن بعدها الكتابة.

لم يردد «آدم» أغاني الأطفال ولم يحفظ أيًا من الأناشيد ولم يلتقط أي كلمة من حلقات الكارتون التعليمية. هو يفهم كلامي جيدًا ولكن كلامه أشبه بلغة خاصة به، تعلمتها أنا من العشرة. كان من الطبيعي أن ينعكس تأخر الكلام على تأخر تعلم العد وأصوات الحروف، ومن بعدها القراءة. بعمر 5 سنوات، كان «آدم» يواجه صعوبة في العد وتذكر اسم الأرقام وشكلها. كان يواجه صعوبة في تذكر شكل الحروف. عندما بدأ يكتب، في وقت ما بين السادسة والسابعة، بدأ يعكس الحروف المتشابهة وبدأ يرتبك في القراءة. فبالإضافة للتلعثم، لديه نسبة من عسر القراءة. أما الكتابة، فلديه درجة من صعوبات الإمساك بالقلم والكتابة.

في البداية، كنت أعمل جاهدة على «علاجه» من الديسبراكسيا. أريدها أن تختفي! لا أريد أن أرى أيًا من أعراضها عليه! لا يوجد علاج دوائي لها. لا يمكن أن نتدخل بطريقة ما ونعالج الجين المسبب لهذه الأعطال المتكررة. لجأت للهوميوباثي ولم أر تأثيرًا. بدأت معه

تدريبات جمباز منفردًا وعمره ثلاث سنوات ونصف لأساعده على الاتزان والقفز والجري والسير بصورة شبه طبيعية.

ثم بدأت معه دروس البيانو وعمره خمس سنوات لأساعده على تقوية عضلات يديه وأصابعه وتحسين حركتها وقدرته على التحكم بها، كذلك لتحسين قدرته على الإنصات وقدرة عقله على فك شفرات الأصوات، وتحسين قدرته على القراءة من خلال قراءة النوتة الموسيقية، وأخيرًا تطوير التوافق العضلي البصري.

بعد البيانو، بدأت دروس الرسم لتطوير تحكمه بالقلم والخطوط، وبدأت تدريبات التنس الخاصة لتحسين التركيز وسرعة رد الفعل وتنشيط الجهاز العصبي والحركة في الملعب. ثم كانت كورسات الشطرنج لزيادة التركيز والثقة بالنفس والسباحة لتنظيم التنفس والتحكم بعضلات الساقين. هذا بخلاف عملي أنا معه بأنشطة المونتيسوري. فأنشطة المونتيسوري من بعد الثالثة أصبحت ممنهجة ومنظمة وتعتمد على أدوات متدرجة في الصعوبة لتعليم أنشطة الحياة العملية ولتنمية المهارات الحسية وفروع الثقافة والعلوم واللغة والرياضيات.

كنت أشعر أنني في سباق مع الزمن لعكس لعنة الديسبراكسيا وردها. كنت أحاول أن أحو أثرها وألا يلاحظ أحد أن طفلي «غريب» أو «معيوب». كنت محبطة! مهما جاهدت وحاولت، كنت أفضل. للأسف نحن نعيش في مجتمع قاسٍ. كم مرة انتهكت سيدة غريبة خصوصيتي وسألني عن «آدم» وما به وتبرعت بالنصائح والمعلومات؟ كم مرة سخر الأطفال من «آدم» بسبب طريقة كلامه؟ كم مرة سألتني أم على صفحتي عما به؟ كم مرة عاد لي طفلي باكيًا لأن الأطفال قالوا عنه إنه ضعيف أو أنه خواجه؟ كم مرة صرخت أنا فيه وقلت له إنه بطيء؟ كم مرة زار غضبي في وجهه وأمرته أن يعدل من لسانه وأن يتحكم بشفتيه؟ كم مرة نفذ صبري؟ كم مرة بكيت وصرخت؟

جذبني عنوان مقال عن أم عاجلت ابنها من سمات التوحد. شعرت بالألفة وأنتني أريد أن أتعلم منها. فوجئت أن كاتب المقال شاب ممن لديهم سمات التوحد، كان يهاجم هذه الأم وكل أم غيرها تحاول أن «تعالج» طفلها المختلف! قال في المقال إن هناك أطفالًا مختلفين عصبيًا وأن جهازهم العصبي يعمل بطريقة مختلفة وليس معطوبًا. قال إن هذه الأم،

التي تضغط على طفلها لإخفاء سمات التوحد، مثل الرفرفة بيديه، لا تعالجه. هي فقط تكبته وتقهره وتستنزف مجهوده الذهني للسيطرة على يديه بدلاً من أن يفهم ما يقال له، مثلاً. قال إن دورها ليس علاجه، وأن المطلوب منها أن تساعد أن يعيش في هذا المجتمع بقدراته ومواهبه الخاصة. دورها أيضاً أن تتقبله كما هو وتساعد المجتمع من حوله على تقبله واستيعابه وتوظيفه بصورة صحيحة.

انتشلتني هذا المقال من صراعي مع طواحين هواء الديسبراكسيا. أدركت أنني مهما فعلت، فلن تخفني الديسبراكسيا ولا الديسلكسيا ولا الديسجرافيا ولا أي شيء مما ولد به «آدم». ليس في وسعي سوى الاستمرار في التدريبات لتحسين قدرات «آدم» ومساعدته أن يكون أفضل ما يمكنه أن يكون. ليس في وسعي سوى الاحتفال بانتصاراتنا الصغيرة المتواصلة في التعليم. ليس في وسعي سوى تعليم «آدم» كيفية حماية نفسه من إيذاء الآخرين وأن أساعده على فهم حالته واختلافه.

في الأوقات التي يتوقف فيها زئير الغضب، ويتركني ذئب الذنب، وأتحرر من دوامة الألم والخوف، أحتضن «آدم» كل يوم وأقول له إنني أحبه. أذكره وأذكر نفسي أنه هدية ربنا. أقول له إنه دعوتي المستجابة وحببي الأعمق وأجمل ما بحياتي. أشكره على مجهوده الذي لا يبذله أي طفل في سنه. وأشكره على محاولاته وأذكره أنه يستحق الحب، الحب غير المشروط. كم أنا محظوظة بهذا الطفل الجميل من الداخل والخارج، محظوظة بجمه وبحضنه وبإبتهامته. لقد جاء إليّ معلماً ومعالجاً. الحمد لله على نعمة «آدم».